في ذكرى رحيل رجل الاصلاحات الكبرى

اميركبير شهيد مكافحة الفساد والهيمنة الاستعمارية

الوفاق / في نهاية القرن الثامن عشر، استطاعت قبيلة القاجار التركمانية، التي كان لها نفوذها منذ أن دعمت صعود الصفويين في إيران في بداية القرن السادس عشر، في السيطرة على مقاليد الحكم في البلاد عام ١٧٧٩م على يد أغا محمد خان، الذي استطاع توحيد البلاد، معلناً بدء عصر الدولة القاجارية.

حكمت السلالة القاجاريّة إيرانَ ما يقارب القرن ونصف القرن، بدءًا من سنة ١١٩٣هـ، وحتّى سنة ١٣٤٤هـ (١٧٧٩ - ١٩٢٥م). وخلال فترة حكمها، تخلّف الشعب الإيرانيّ عن ركب الحضارة، على مختلف الأصعدة الاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة. كما إنّ الاتفاقيّات المذلّة، التي أُبرِمَت في هذه الفترة، مع الدول القويّة وقتئذٍ، أساءت إلى إيران، وسوّدت صفحات تاريخها.

فقد قضى القاجار على طموحات شعبهم في مراحل مبكرة للغاية؛ حيث قاموا بتوقيع اتفاقيتين مع روسيا وبريطانيا. وقد أدت الاتفاقيتان إلى تنازلات إقليمية واقتصادية ضارة بمصالح الفئات الاجتماعية الإيرانية التي كانت لا تزال في طور النشوء.

وكان من بين هذه التنازلات تخفيض عائدات التصدير للدولتين المذكورتين ومنحهما حق إنشاء وكالات تجارية في طهران، ومنح الإعفاءات الجمركية على بضائعهما، وقد نتج عن هذه التنازلات إغراق السوق الإيرانية بالبضائع الأجنبية المستوردة عالية الجودة؛ مما أضعف منافسة البضائع الإيرانية حتى اندثر العديد منها.

اميركبير رئيساً للوزراء

في ظل هذه الأجواء الاجتماعية والسياسية من حكم الدولة القاجارية ولد محمد تقي فراهاني المعروف بـ" أميركبير" في هزاوه من ضواحي فراهان. اتسم أميركبير منذ صغره بالذكاء والفطنة، وهو ما لفت انتباه رجالات الدولة المقربين من ولي العهد عباس ميرزا ابن فتح علي شاه، وارتبط أميركبير بأسرة القاجار وولي عهده عباس ميرزا وبات محل ثقة العائلة المالكة من خلال الوزير عيسى فراهان، وتدرجت علاقاته مع الأسرة القاجارية الحاكمة وسطع نجمه بعد عقده لإتفاقية أرضروم لحل الخلافات الحدودية بين الدولة القاجارية والدولة العثمانية وبموجبها أصبحت مدينة خرمشهر وميناءها والأراضي الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب تابعة للحكومة القاجارية بعد أن كانت تتنازع عليها مع الدولة العثمانية، وأصبحت المعاهدة بمثابة إنجاز عزز مكانته السياسية.

عيّن اميركبير في عهد ناصر الدين شاه أميركبير رئيساً للوزراء، وهكذا تسلم الميرزا أميركبير منصب رئاسة مجلس وزراء إيران واستمر في هذا المنصب لفترة قصيرة مدتها ثلاث سنوات وشهر واحد و٢٧ يومًا، وأصبح بذلك الرجل الثاني في البلاد بعد الشاه، ونال صلاحيات واسعة كان يحلم بها لتحقيق أهدافه وأفكاره، وبعد عام من وصوله إلى رئاسة الوزراء تزوج بأخت الشاه الجديد "عزت الدولة"، وبات أكثر نفوذا في الدولة.

وبدأت إصلاحاته بعد وقت قصير من توليه منصبه واستمرت حتى نهاية فترة رئاسته القصيرة التي قاد خلالها حملة من الإصلاحات في كافة القطاعات الحيوية في البلاد كالجيش والتعليم والحكم والدين، بالإضافة إلى الاقتصاد والسياسة وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي وقام بخدمات وإصلاحات أساسية وهيكلية تذكر في تاريخ إيران الثري والحضاري.

وَرَثَ فساداً مستشرياً وسيطرةً غربيةً

ورث أمير كبير وضعاً غير مناسب على الإطلاق وكان مليئاً بالمشاكل والعقبات أمام العمل والإصلاح، سعى إلى محاربة الفساد المستشري في مفاصل الدولة وفي كل مكان في البلاد. كان كادر الهيئة الحاكمة غارقًا في الفساد بشكل لا يمكن إصلاحه. وكان جنوب وشمال البلاد في أيدي إنجلترا وروسيا. غابت الصناعة الموجودة في البلدان المتقدمة في ذلك الوقت عن إيران، وحتى الحرف اليدوية القليلة الموجودة في البلاد كانت تتعرض للإفلاس في مواجهة هجمة المصنوعات اليدوية في البلدان المتقدمة. ظلت الزراعة وتربية الحيوانات على حالها كما كانت في العصور الوسطى. ولو فكر أحدهم في استغلال ما تتمتع به إيران من ثروات طبيعي، لم يستطع إلى ذلك سبيلاً بسبب استشراء الفساد والهيمنة الغربية.

في ظل هذه الأجواء الشديدة السوء بدأ أمير كبير مسيرته الإصلاحية، فإتجه لإصلاح البيت الداخلي فقام في بداية خطواته الإصلاحية بعزل عدد كبير من حكام الولايات، وإزالة نفوذ رجال الحاشية، وقطع المعاشات التقاعدية الاستثنائية التي كانت تُمنح للأفراد دون سبب. وتشكيل فرق نظامية ومسلحة، والقضاء على الهيمنة القبلية، وتوسيع نطاق التعليم عبر اعتماد مبادئ التعليم الأوروبية.

أمّا سياسته الخارجية فتمثلت بإقامة علاقات ودية واحترام متبادل مع جميع الدول، وكسر القيود التي فرضت على حكومة وشعب إيران بسبب إبرام المعاهدات السابقة. تحسين وضع السفارات الإيرانية في الدول الأخرى، وعمل على تقليص نفوذ الأجانب في الشؤون الداخلية الإيرانية.

توحيد إيران وقمع الانفصاليين

عندما تولى أمير كبير زمام الأمور، كانت البلاد تشهد خلافات داخلية وصراعات بين القوى المحلية في كافة المناطق؛ حيث شمل الانفلات الأمني كافة مناطق غربي البلاد وجنوبها وكذلك شرقي وشمالي البلاد، وعصفت الفتن بالمدن الشمالية والشمالية الغربية من البلاد مثل السرطان المستشري.

لم يدخر أي جهد لترويض المتمردين وقمع الانفصاليين وحماية البلاد من الانقسام والتفتت. وفي فترة قصيرة استطاع القضاء على حركة التمرد في مناطق الجنوب، رغم اتساعها وعمقها، ووضع المنطقة بأكملها تحت سيطرة الحكومة المركزية.

> قاد المصلح الاول في ايران اميركبير حملة إصلاحات في كافة القطاعات الحيوية في البلاد كالجيش والتعليم والحكم والدين، بالإضافة إلى الاقتصاد والسياسة وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي وقام بخدمات وإصلاحات أساسية وهيكلية تُذكر في تاريخ إيران

وكان هذا النجاح مفاجئاً لدرجة أنه بعد كل التقارير التي قدمها إلى وزارة الخارجية حول انعدام الأمن والفوضى في المنطقة الجنوبية قبل ذلك التاريخ، كتب ممثل بريطانيا في إيران إلى وزارة الخارجية البريطانيا: "لقد مرت سنوات عديدة لم تكن منطقة فارس مطيعة كما هي الآن تحت طاعة الحكومة المركزية".

ونظرًا لقرب بلوشستان وسيستان من الهند وأفغانستان، حاولت إنجلترا أن تجعل الحكام والقادة المحليين لهذه الدول دمى لها. ولذلك بدأ القادة البلوش في هذه المناطق بالتمرد تحت تأثير الاستفزازات البريطانية بسبب قيام الهند بفصل هذه المناطق عن إيران. وقد منع أمير كبير تنفيذ الخطة البريطانية بطريقتين: الأولى تعزيز الحكومة المركزية والثانية دعم الحكام المحليين ورؤساء ولايتي بلوشستان وسيستان وإسناد بعض المهام والخدمات الحكومية إليهم.

تدعيم الاقتصاد الوطني

قدّر أمير التقنيات الغربية وأدرك تأثيرها الاقتصادي. لذلك، كانت إحدى الخطط المهمة لبرنامجه في تطوير إيران هي إنشاء صناعات جديدة. تضمنت خطة أميركبير لبناء الصناعة الوطنية استخراج المناجم وإنشاء مصانع مختلفة وتوظيف أساتذة فنيين من إنجلترا أو المانيا وإرسال صناعيين إلى روسيا ودعم المنتجات المحلية.

كذلك كان يؤمن بفكرة الانفتاح على العالم الخارجي بالتزامن مع تنمية القطاعات الداخلية للاقتصاد، فعمل على بناء وتوسيع أسواق طهران وتبريز، واهتم بتحديث شبكة الطرق، وفرض ضرائب على الواردات، ما جعل تجار الداخل يصدرون البضائع أكثر من استيرادها، الأمر الذي ساهم في زيادة نسبة الصادرات على الواردات في عهده.

قام كذلك بإجراء إصلاحات واسعة في الشؤون الدينية متخذاً عدة خطوات في هذا الصدد، فألغى عادة التطبير المنتشرة في مراسم عزاء عاشوراء، وحل وزارة "دار الشرع" التي كانت تمارس نوعاً من الاضطهاد على غير المسلمين، وأعطى الأقليات الدينية مزيداً من الحقوق والامتيازات.

ثقافياً، أسس أمير كبير "دار الفنون" والتي تُعد بمثابة أول جامعة إيرانية بالمفهوم الحديث، وكانت تُدرّس العلوم الجديدة على يد العلماء الغربيين، لاسيما من النمسا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا، ولعبت دوراً فاعلاً ومؤثراً في تثقيف شرائح من المجتمع الإيراني وعلى رأسهم عدد من الأمراء وأفراد الأسرة القاجارية.

شهيد مكافحة الفساد

أثارت إصلاحات أمير كبير حسد الأمراء ورجالات الدولة الذين قلقوا من نفوذه الواسع في إيران الذي يهدد مصالحهم، فحاربوه منذ العمل على إفشال مشاريعه وخططه الإصلاحية واجتهدوا في الإيقاع به عند الشاه وتلفيق التهم. وكذلك سعى البريطانيون للتخلص من الوزير القوي الذي كان يشكل خطراً على نفوذهم في إيران، وبالفعل انتهت كل هذه المؤامرات بإصدار الشاه قرارا بقتله، ونُفّذ بعد بضعة أيام من قرار عزله.

كتب تاريخية

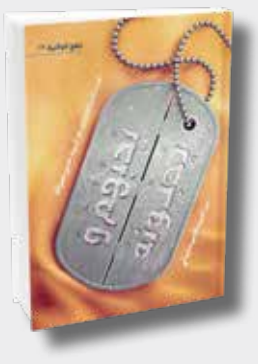

«كتاب يحبهم ويحبونه»: كلمات السيد حسن نصر الله حول الشهيد قاسم سليماني

الوفاق/ وكالات - يُعدّ السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله واحداً من الشخصيات القليلة التي يمكنها التحدّث عن طبيعة علاقة الشهيد الفريق قاسم سليماني بالمجاهدين والمقاومين، لا سيّما في لبنان. هذه العلاقة التي يمكن اختصارها باسم الكتاب: "يحبهم ويحبونه". فهذا الكتاب هو مقتطفات من خطابات السيد حسن نصر الله (حفظه الله) حول الشهيد القائد الحاج قاسم سليماني، والتي تضمن أيضاً بيان سماحة السيد نصر الله للدور الجوهري للشهيد القائد في استقرار منطقة غرب آسيا، وفي إفشال المشاريع الأمريكية الإستكبارية فيها.

يُعد الشهداء القادة فئة مميزة من البشر، فقد جمعوا بين الصفات الأخلاقية الرفيعة، والصفات القيادية الفذة، وكانوا نموذجاً يحتذى به في الجهاد والتضحية، ومعرفة الشهداء القادة لها أهمية كبيرة في عدة جوانب، منها:

أولاً: التعرف على تاريخهم وإنجازاتهم مما يساعد على فهم السياق الذي عاشوا فيه، والظروف التي واجهوها، والأهداف التي دافعوا عنها.

ثانياً: استلهام روحهم الجهادية والنضالية وذلك لكي يساعد على تحفيز الناس على الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الحق والعدل.

ثالثاً: السير على خطاهم، حيث يساعد على نشر قيم الجهاد والتضحية، وبناء المجتمعات العادلة والفاضلة.

ومن هذا المنطلق نفذ هذا الكتاب الذي يتناول شخصية الشهيد سليماني من جوانب متعددة، فهو يتحدث عن حياته الشخصية، وعن مسيرته الجهادية، ومواقفه البطولية، وعن دوره في قيادة المقاومة الإسلامية، وأثره على مسارها. ويؤكد الكتاب على أن الشهيد سليماني كان رجلاً استثنائياً، فقد جمع بين الصفات الأخلاقية الرفيعة، والصفات القيادية الفذة، وكان نموذجاً يحتذى به في الجهاد والتضحية.

ويخلص الكتاب إلى أن الشهيد سليماني كان رمزاً للمقاومة الإسلامية، وقد ترك أثراً عميقاً في نفوس محبيه، وستبقى ذكراه خالدة في وجدانهم.

سيرة شهيد

الشهيد أحمد كاظمي؛ من جبهة جنوب لبنان إلى معاقل الدفاع المقدس

الوفاق / وكالات - تحلّ هذه الأيام، الذكرى السنوية على استشهاد اللواء أحمد كاظمي، الذي استشهد في الـ٩ من كانون الثاني / يناير للعام ٢٠٠٦، والذي كان وقتئذ قائداً للقوة البرية في حرس الثورة الإسلامية في إيران. ويعتبر الشهيد كاظمي من أبرز القادة العسكريين في حرس الثورة، لا سيّما في معارك الدفاع المقدس ضد حرب صدام.

مولده ونشأته

الشهيد من مواليد العام ١٩٥٨ في مدينة نجف آباد التي تقع في محافظة أصفهان، كان والده "عشق علي" قائدًا في جيش الشاه، لكنه انسحب في العام ١٩٧٤ قبل بداية الثورة الإسلامية، ثم انتقل الشهيد برفقة والده إلى سوريا ولبنان، حيث تلقى أولى دوراته التدريبية مع حركة فتح الفلسطينية في معسكرات لها في سوريا ولبنان.

مسيرته الجهادية

كان من أبرز الشباب في المجموعات المعارضة لنظام الشاه، وكان يعمل ضمن فعاليات الثورة بقيادة الإمام الخميني (قدس)، بعد نجاح الثورة، انضم لقوات الحرس، فكان من بين القادة الذين تصدوا للمحاولات الانفصالية في إقليم كردستان غربي البلاد. ومع اندلاع حرب صدام ضد إيران، انتقل الى جبهة "عبادان" وقاد فرقة النجف الأشرف الثامنة التي كانت أبرز مشاركاتها في عمليات: ثامن الأئمة، الفتح المبين، بيت المقدس (تحرير خرمشهر)، رمضان، محرم، والفجر ١ و٢ و٤ و٨ و١٠، خيبر، بدر، قادر، كربلاء ٤ و٥، وأصيب الشهيد كاظمي عدة مرات خلال المعارك، في ظهره وساقه ويده، حيث تم قطع أحد أصابعه.

قائد سلاح الجو في حرس الثورة

في العام ٢٠٠١، تم تعيينه قائدًا لسلاح الجو في حرس الثورة. وخلال فترة خدمته، اتخذ تدابير فعالة من حيث التنظيم والهيكلية من أجل تحسين جودة القوة الجوية. فكان من أبرز ما حققه، تجهيز هذه القوة بطائرات Su-Sukhoi-٢٥ للدعم القريب، وطائرات هليكوبتر من طراز Mil Mi-١٧ تم شراؤها، كما كان على اتصال بوحدة الصواريخ التابعة للحرس، حيث ساعد الشهيد اللواء حسن طهراني مقدم، في مشاريع تطوير الصواريخ الباليستية.

وعندما وقع زلزال "بام" في العام ٢٠٠٣، حشّد اللواء كاظمي أسطول القوة الجوية، من أجل إنقاذ ضحايا الزلزال، بعد أن تم تجهيز مطار "بام" لذلك، بحيث كانت تحلق الطائرة والمروحية كل ١٣ دقيقة، وتم نقل ما مجموعه ٣٠ ألف جريح.

الاستشهاد

استشهد في الـ ٩ من كانون الثاني / يناير للعام ٢٠٠٦، بعد حادث تحطم الطائرة من نوع "داسو فالكون ٢٠"، التي كانت تقله مع ١٢ من قادة القوة البرية في حرس الثورة الإسلامية قرب مدينة "أرومية". وقد صلى على جثمانه قائد الثورة الإسلامية الإمام السيد علي الخامنئي(حفظه الله)، قبل أن يتم تشييعه من قبل الآلاف من أهالي منطقة أصفهان، يتقدم رفاق الشهيد في حرس الثورة وخلال حرب الدفاع المقدس، وأولهم الشهيد الفريق قاسم سليماني الذي قام بتلحيده في القبر.